وماكادوا يفعلون • فهذه اربعة طرق للنحاة في هذه اللفظة
والصحيح انها فعل يقتضي المقاربة ولها حكم سائر الافعال
ونفي الخبر لم يستفد من لفظها ووصفها فانها لم توضع لنفيه • وانما
استفيد من لوازم معناها • وانها اذا اقتضت مقاربة الفعل لم يكن
واقعا فيكون منفيا بالمزدوج • واما اذا استعملت منفية فان كانت
في كلام واحد نفي لنفي المقاربة • كما اذا قلت لا يكاد البطال يفلح
ولا يكاد البخيل يسود ولا يكاد الجبان يفرح ونحو ذلك • وان كانت
في كلامين اقتضت وقوع الفعل بعد ان لم يكن مقاربا كما قاله ابن مالك
فهذا التحقيق في امرها • والمقصود ان قوله تعالى لم يكد يراها
اما ان يدل على انه لا يقارب رؤيتها لشدة الظلمة وهو اظهر
فاذا كان لا يقارب رؤيتها فكيف يراها كما قال ذو الرمة
اذا غير الناي المحبين لم يكد • رسيس الهوى من حب ميتة يبرح
اي لم يقارب البراح وهو الزوال فكيف يزول • فشبه سبحانه اعمالهم
اولا في فوات نفعها وحصول ضررها عليهم بسراب خدع بخدع
مرويه من بعيد فاذا جاءه وجد عنده عكس ما امله ورجاه •
وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة خالية من
نور الايمان بظلمات متراكمة في لج البحر المتلاطم الامواج الذي قد
غشيه السحاب من فوقه • فيا له تشبيها ما ابدعه واشده مطابقة
لحال اهل البدع والضلال • وحال من عبد الله على خلاف ما بعث به
رسوله وانزل به كتابه • وهذا التشبيه هو تشبيه اعمالهم الباطلة
بالمطابقة والتصريح ولعلومهم وعقائدهم الفاسدة بالمزدوج •

وكل واحد من السراب والظلمات مثل لمجموع علومهم واعمالهم فهي سراب
لا حاصل له وظلمات لا نور فيها • وهذا عكس اعمال مثل المؤمن وعلومه
التي يتلقاها من مشكاة النبوة فانها مثل الغيث الذي به حياة البلاد
والعباد • ومثل النور الذي به انتفاع اهل الدنيا والاخرة ولهذا يذكر
سبحانه وتعالى هذين المثلين في القرآن في غير موضع لاوليائه واعدائه
كما ذكره في سورة البقرة في قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما
اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون •
صم بكم عمي فهم لا يرجعون • شبه سبحانه وتعالى اعداءه المنافقين
بقوم اوقدوا نارا لتضيئ لهم وينتفعوا بها فلما اضاءت لهم النار
فابصروا في ضوءها ما ينفعهم ويضرهم وابصروا الطريق بعدا ن
كانوا حيارى تائهين • فهم كقوم سفر ضلوا عن الطريق فاوقدوا النار
ليضيئ لهم الطريق فلما اضاءت لهم فابصروا وعرفوا طريقهم طفيت تلك النار
وبقوا في ظلمات لا يبصرون قد سدت عليهم ابواب الهدى الثلاثة و
قال الهدى يدخل الى العبد من ثلاثة ابواب مما يسمعه باذنه وهؤلاء
قد سدت عليهم ابواب الهدى فلا تسمع قلوبهم شيئا ولا تبصر ولا تعقل
ما ينفعها • وقيل لما لم ينتفعوا باسماعهم وابصارهم وقلوبهم
نزلوا منزلة من لا سمع له ولا بصر ولا عقل والقولان متلازمان
وقال في صفتهم لا يرجعون • لانهم قد رأوا في ضوء النار وابصروا الهدى
فلما طفيت عنهم لا يرجعوا الى ما رأوا به • وقال سبحانه ذهب الله
بنورهم ولم يقل ذهب نورهم • وفيه سر بديع وهو انقطاع
تلك المعية الخاصة التي خص بها اولياءه فقطعها بينه وبين المنافقين

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)